تاريخ استقبال المقال: 26 /2017/04 تاريخ قبول نشر المقال:12 / 08 /2017 تاريخ نشر المقال: 2017/12/01

القيم الإسلامية ودورها في حفظ التماسك الأسري

أ.د مصطفى عوفي جامعة الحاج لخضر باتنة/ الجزائر

د.نسيمة طبشوش جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج /الجزائر

Rahma0104@gmail.com

ملخص:

يكتسي موضوع القيم أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع كونها تمثل ركنا أساسيا في تكوين العلاقات بين الأفراد، وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم، كما أنها تشكل معايير وأهدافا تنظم سلوك الجماعة.

يعتبر التفاعل الأسري أساس التماسك الاجتماعي ،إذ أن العلاقات الأسرية السليمة ينتج عنها اكتساب الأبناء الخصائص السلوكية المناسبة بفاعلية ودون تطرف، لذلك كان من الأهمية بمكان تحديد الأدوار الفعالة للأسرة في المجتمع المعاصر وأثرها في بناء شخصية الأبناء، ومدى تمسكهم بالقيم الأسرية.

ونظرا لخصوصية الأدوار التي تؤديها الأسرة ، فقد حرصت الشريعة الإسلامية على حماية الرابطة الأسرية من حيث وجودها واستقرارها، مما يساهم في الحفاظ على التماسك الأسري.

Abstract:

The subject matter of values receives major importance in the life of individual and society as it is considered as a fundamental aspect in building relationships among people, it essentially defines the nature of interaction they share and it forms the norms and goals which arrange the behaviour of the whole group.

Family interaction is considered as the basis of social solidarity because undamaged family relationships produce convenient behaviours that children gain without any external interference. Therefore, it is necessary to highlight the position of effective roles in contemporary society and their influence on building the characters of children and how far they are attached to the family values.

Regarding the privacy of family roles, Islamic law is determined to protect the existence and stability of the family union which certainly preserve family consistency

مقدمة

يشكل موضوع القيم في المجتمع المنظومة القيمية التي تساهم في تشكيل الإطار المرجعي للسلوك داخل المجتمع ، كما تمثل نسقا من المقاييس التي يتم الحكم من خلالها على السلوكيات، فالإنسان مهما كان مستواه لا يستطيع أن يعيش بدون ، لأن القيم في النهاية هي كل شيء بالنسبة له.

ولكي نتمكن من تحديد طبيعة القيم في مجتمعاتنا العربية الإسلامية فإننا مطالبون بتحديد هويتنا الذاتية ومكونات هذه الهوية من حيث أثر المعتقد الديني في السلوك الإنساني، إذ أن مصدر القيم في الأساس هو الدين فالإنسان لا يكون مصدر للقيم وإنما أداة يمكن أن تتجسد فيه القيم.

وتعد الأسرة المحضن الأول الذي يتم فيه اكتساب القيم من خلال آليات التنشئة الاجتماعية التي تهدف إلى تشكيل الفرد على صورة مجتمعه وصياغته في القالب والشكل الذي ترتضيه الجماعة، لذا استأثر نظام الأسرة بقسط كبير من العناية ، وحظي باهتمام بالغ في تفريغ مسائله وتفصيل ما جاء مجملا في النصوص الشرعية، حيث حرصت على جلب كل المصالح التي تدعم تماسك الأسرة و درء كل المفاسد التي تهدد كيانها واستقرارها.

أولا- مفهوم القيم:

1- القيم لغة : القيم جمع لكلمة قيمة وهي مشتقة من الفعل الثلاثي قوم، وكما يقول علماء الصرف لفظ القيمة اسم هيئة من قام يقوم وأصله قومة بالواو، سكنت الواو وكسر ما قبلها فقلبت ياء لمناسبة الكسرة [1].

إن لفظ قيمة يدل أصلا على اسم النوع من الفعل قام، بمعنى اعتدل وانتصب، وبلغ واستوى وهو لفظ لاتيني الأصل يدل معناه على القوة والصحة، ويتضمن فكرة الفعالية والمثالية [2].

يقول ابن منظور :والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وسمي الثمن قيمة لأنه يقوم مقام الشيء وقومته عدلته، وتقوم الشيء :تعدل واستوى وتبينت قيمته، وقيمة الشيء :قدره، وقيمة المتاع ثمنه ، ويقال ماله قيمة إذا لم يدم على الشيء ولم يثبت، ولذا يعبر بالإقام عن الدوام [3]

ولعل أقرب الاستعمالات اللغوية إلى القيم بمعناها السائد الآن هو ما ذكره صاحب القاموس من قولهم :فلان ماله قيمة إذا لم يدم على شيء، وقول صاحب أساس البلاغة :القيمة ثبات الشيء ودوامه، وهما يشيران بذلك إلى أن القيمة ترد بمعنى الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويستمر في مراعاته [4]، وهو ما أكده كثير من الباحثين المهتمين بالقيم الإسلامية.

2- القيم في المنظور الإسلامي:

القيم في المنظور الإسلامي هي :مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الأفراد والجماعات، ويعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية مصدرا للقيم والأخلاق في الإسلام [5].

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ القيم في ست آيات هي :

1-﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[6]

2-﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[7]

3-﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[8]

4-﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[9]

5-﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[10]

6-﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾[11]

وحسب أشهر تفاسير القرآن الكريم (القرطبي ،الصابوني وابن كثير)، فإن لفظ القيم في الآيات السابقة يعني المستقيم والعادل [12]

إن القيم لابد أن تكون عامة وثابتة، مطلقة وكلية، بحيث تنطبق على جميع الناس دون استثناء ولا تخضع لإرادتهم وأهواءهم الفردية والجماعية على السواء، وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا سلمنا بأن مصدر القيم يعود إلى الله سبحانه وتعالى، يقول جاك ماريتان:" إن أي مجتمع بشري يحتاج إلى مجموعة من القيم ذات المصدر الإلهي الذي يعلو على الإنسان، أي أن مصدر القيم لا يجوز أن يرجع إلى الإنسان نفسه وإلا فإنه سيكون طرفا وقاضيا في نفس الوقت "[13]

فالله الصادق كما يقول ديكارت" هو الذي يمنح للحقيقة معناها، ويجعل البحث عنها مشروعا فإننا على الرغم مما نتكبده فيه من متاعب، لأنه مشروع يقربنا منه ويغنينا ويثري وجودنا ولهذا فإننا إدا أنكرنا وجوده وتملكنا اليأس صار يظهر لنا أن التوهم يسود ميادين الحياة كلها" [14]

ووفق هذه الآراء فإن التسليم بأن الله هو مصدر القيم يعني:

أ .أن تتميز هذه القيم بالقداسة والهيبة، مما يجعل احترام هذه القيم أمرا نابعا من ذات الإنسان عن طاعة اختيارية ونية صادقة لكسب رضاه.

ب .أن يصبح الالتزام الأخلاقي وللمسؤولية معنى.

ج .أن يتوفر للقيم سند حقيقي.

د .الإبقاء على حرية الإنسان وإرادته في اختيار القيم التي يرتضيها.

هـ .توفر شروط الاستقرار والثبات في المجتمع.

و .بقاء ذلك الحافز متجدد على العمل والاستقامة في ذات الوقت.

ي .توفر الميزان الثابت والعادل للحكم على الأشياء والأفعال.

3- القيم اصطلاحا: إن تعاريف القيم تكاد تتعدد بتعدد الكتاب والباحثين ، وهذا ما يعكس الصعوبة التي يشير إليها مختلف الدارسين في ميدان القيم وكذلك الغموض الذي مازال يلف مفهوم القيم، وعدم الاتفاق بين الباحثين حول مصدر القيم.

والقيم بمفهومها العام أحكام أخلاقية بالحسن أو القبح على الظواهر الاجتماعية المختلفة وعلى الصور والأنماط المتنوعة للسلوك الإنساني ،وهناك ما يشبه الاتفاق بين شعوب الدنيا كلها على عدد محدود من القيم يمكن أن نسميها قيم عالمية كالخير والجمال والحق، إلا أن هناك اختلافا بين تلك الشعوب حول عدد آخر من القيم، وهذا الاختلاف هو الذي يحدد هوية الثقافات المختلفة وهو الذي يصنع تعددها، ويميز بعضها عن بعض،

فالذي يحدد الهوية للثقافات المختلفة هو منظومة القيم التي تحيط بتلك المعارف، وتؤثر في النهاية في أنماط السلوك الإنساني [15].

وهذا ما يفسر لنا امتثال الأفراد لقواعد الضبط الاجتماعي وأهداف المجتمع و هدا الامتثال والخضوع بشكل واعي لما لها من سلطة مستمدة من الدين أو المذهبية السائدة في المجتمع و لقد أدركت المجتمعات البشرية الخصائص الإنسانية التي تميزها عن باقي الكائنات الحية، ولكنها تعيش فروقا هامة وجوهرية تتعلق بالقيم التي تتبناها.

فالنزاهة في تطبيق القيم تؤدي الى الاستمرارية حيث أن الأشخاص النزيهين هم الذين يطبقون قيمهم المناسبة بغض النظر عن الحجج السلبية الآتية من الآخرين[16]، فهي تطبق بشكل مناسب في الوقت الصحيح فعلى سبيل المثال لابد من تطبيق القيم الدينية في أوقات السعادة وكذلك في أوقات اليأس.

ويرى محمد أحمد بيومي أن الإسلام أكثر من أي دين آخر يعد المظلة للنظام الاجتماعي وأن هناك علاقة وثقى بين القيم والواقع الاجتماعي [17].

وهو ما يؤكده السيد الشحات من خلال قوله أن :القيم حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك. [18]

ثانيا- مصادر القيم ومكوناتها:

1- مصادر القيم

تعتبر القيم بحرا لا ساحل له، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[19]

فمصدر القيم في الإسلام هي التعاليم المنزلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يضاف إلى كتاب الله وسنة رسوله عمل الصحابة " وآله الأطهار والعقل والمشاهدة والفطرة" [20]

تلك الفطرة التي مكانها القلب، قال عليه الصلاة والسلام: "**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**"، فإذا كانت النفس منشأ العقل ومصدره فإن الفعل ترجمة وتعبير عما تنطوي عليه ولما كانت النفس غيبا لا علم للإنسان به كان الحكم على الفعل المشاهد المنظور وكان هذا الظاهر دليل الباطن وعنوانا له فإذا كان الفعل في الظاهر حسنا ، كان الحكم على الخلق بأنه حسن، وإذا كان الفعل في الظاهر سيئا، كان الحكم على الخلق بأنه سيئ" [21]

أما حصر القيم في زاوية معينة ، كما فعل " أوجست كونت " بإرجاعها إلى المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد ، وكما فعل الماركسيون وعلى رأسهم " فريدريك انجلز " و " كارل ماركس "إلى الأحوال الاقتصادية ، وأرجعها دعاة الترعة الإنسانية " السفسطائية " قديما و"نيتشه " حديثا إلى الإنسان صانع القيم ، وأرجعها دعاة النظام الدكتاتوري " توماس هوبز " إلى الطاغية المستبد. [22]

وقد حكى القرآن ذلك في قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، قال تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ [23]

وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[24] ، وقال تعالى : ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾[25] .

هذا الادعاء من طرف"فرعون"يبين المنحى الذي تم اتخاذه من طرف كثير من الفلاسفة الطبيعيين بمختلف اتجاهاتهم وألوانهم و أمكنتهم و دياناتهم، فهي"تعدها جزءا لا يتجزأ من الواقع الموضوعي للحياة والخبرة الإنسانية، فهي ترى أن قيم الأشياء هي من نتاج اتصالنا بها وتفاعلنا معها وسعينا إليها، وتكوين رغباتنا واتجاهاتنا نحوها أي أن القيم التي نتطلع إليها ونتمسك بها هي نتاج عادات فكرية كوناها حول الموضوعات أو الأشياء التي ترتبط عندنا بتلك القيم فهي إذن من نسج الخبرة الإنسانية وجزء لا يتجزأ من كيانها"[26]

2- مكونات القيم:

يؤكد العديد من علماء الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع من بينهم تالكوت بارسونز على أن القيم تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي: [27]

1- المكون المعرفي: ويشمل الجانب الثقافي المتراكم عبر الأزمنة لأي أمة وما يحتويه من معارف ونظريات ومعلومات، ومنه تؤخذ القيم.يتعلمها الأفراد ويتشربونها أبا عن جد ذكرا وأنثى،وتنتقى القيم لأهميتها ومدلولها المعنوي أو المادي، والخير الذي توفره في الثقافة العامة والخاصة.

2- المكون الوجداني: ويتعلق هذا المكون بالشخص، وما ينطوي عليه من انفعالات ومشاعر وأحاسيس داخلية تجعل الفرد يميل إلى قيمة معينة يقدرها ويعتز بها، وكلما كان الجانب الوجداني قويا تجاه القيمة كان التمسك بها قويا للفرد والجماعة.

3- المكون السلوكي:حيث تظهر فيه القيمة بشكل واضح تترجم إلى سلوك بيّن يعبر عما بداخل الشخص من جانب وجداني يحرك الفرد ويترجمها إلى سلوك وأداء فعلي قولا وعملا باطنا وظاهرا لا يعتريه النفاق قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[28] مما يعزز القيمة عند الفرد ويجنبه من الاستخفاف أمام أعين أفراد المجتمع ،وتقوى شخصيته في الجانب القيمي .

وتسهم تلك العناصر الثلاثة في تحديد القيمة و تحديث وظيفتها و معناها و يتضمن العنصر الثالث العمليات التي تساعد البعض الفاعل على تخصيص طاقاته و شحنها و توحيدهما بين مظاهر الفعل المختلفة.

و هذا يعنى أن القيم يتم التعبير عنها من خلال الأفعال التي يقوم بها الإنسان، تلك الأفعال تقدر قيمتها بمقدار ما تقدمه من فائدة في مجال الحياة الواقعية، وتؤكد المدرسة الاجتماعية المعاصرة أن تلك المكونات متداخلة و متفاعلة فيما بينها بتأشير المجتمع و التفاعل الاجتماعي، كما أنها تعكس ثقافته و تعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه.

ثالثا- أهمية القيم:

للقيم أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع لأنها تمثل ركنا أساسيا في تكوين العلاقات بين الأفراد وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم، إضافة إلى أنها تشكل معايير وأهدافا تنظم سلوك الجماعة وتوجهه، كما أنها للفرد بمثابة دوافع محركة لسلوكه ومحددة لهذا السلوك، وأنها من الأبعاد المكونة لشخصيته فهي تؤدي دورا فعالا في تكامل الشخصية المسلمة وتصل بها إلى كل تقدم ورقي.

1- أهمية القيم للفرد:

تعتبر القيم مقصدا مهما في حياة الفرد والجماعة فهي تؤدي على مستوى الفرد إلى:[29]

– القيم تساعد على التنبؤ بسلوك الفرد في المواقف المختلفة ، فإذا كان الفرد يتحلى بقيمة الأمانة وكتمان السر والتعاون والقدرة على تحمل المسؤولية ، فإنك تستطيع بسهولة أن تتنبأ بسلوكه في المواقف التي تستدعي أمانته ومحافظته على أسرار الآخرين ، وتعاونه مع غيره ، وقيامه بالمسؤولية التي يكلف بأدائها وبمعنى آخر يمكننا أن نتوقع ردود أفعاله وتصرفاته في كل المواقف التي تواجهه في حياته.

– إن استجابة الفرد لموقف معين أو إصداره حكما على قضية معيارية ينبع أساسا من القيم التي يؤمن بها ، فالقيم هي المسؤولة عن الأحكام التي يصدرها الإنسان على أي موضوع أو موقف يواجهه في حياته.

– القيم معايير عامة ومحل اتفاق ورضا من الجميع ، وعليه فإن من يتحلى بها يكون محل استحسان من جميع أفراد المجتمع وعلى العكس من ذلك تماما كل من يخرج عليها يقابل بالاستهجان والتوبيخ ، بل والعقاب الذي يشتد حسب درجة إهماله للقيمة أو تخليه عنها.

–القيم موجهات للسلوك ومعايير يزن بها الإنسان نشاطه وفكره ودوره في الحياة، لذلك فهي تحكم سلوكه فتجعله يتسم بالتوحد والتناسق وعدم التناقض في كل ما يصدر عنه من تصرفات وكل ما يقوم به من نشاط.

–القيم تمثل قوة دافعة للعمل ، وأدائه على خير وجه وفي أحسن صورة وبذل كل جهد.

كما تتضح أهمية القيم للفرد في القضايا الرئيسية الآتية: [30]

1–القيم جوهر الكينونة الإنسانية: تضرب القيم جذورها في النفس البشرية لتمتد إلى جوهرها وخفاياها وأسرارها، وهي تشكل ركنا أساسيا في بناء الإنسان وتكوينه...فبالقيم يصير الإنسان إنسانا وبدونها يفقد إنسانيته ويرد إلى أسفل سافلين، ويصبح كائنا حيوانيا بهيما تسيطر عليه الأهواء وتقوده الشهوات، فينحط إلى مرتبة يفقد فيها عنصر تميزه الإنساني الذي وهبه الله له.

2–القيم تحدد مسارات الفرد وسلوكياته في الحياة :ينبع السلوك الإنساني من القيم التي تنشأ بدورها عن التصور والمعتقد والفكر، فتفكير الإنسان في الأشياء والمواقف التي تدور حوله وبناء تصوراته عنها هو الذي يحدد منظومته القيمية ومن ثم تصدر أنماط السلوك وفق هذه المنظومة، وبناء على ذلك تأتي أهمية القيم كمنظمات لسلوك الأفراد فيما ينبغي فعله والتحلي به وفيما ينبغي تركه والابتعاد عنه.

3–القيم حماية للفرد من الانحراف والانجرار وراء شهوات النفس وغرائزها:تعتبر القيم كالسياج الذي يحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي، وبدون هذا السياج يكون الإنسان عبدا لغرائزه، وأهوائه، وشهواته التي لا تقوده إلا للدمار والفناء، وعندما تضعف قيم الفضيلة في النفس تسيطر الرغبة والغريزة وتظهر كأنها سيدة المكان والزمان فتجرف الإنسان في تياراتها المتضاربة فلا يدري في أي مكان هلك.

4–تزود القيم الإنسان بالطاقات الفاعلة في الحياة وتبعده عن السلبي :القيم تحدد لك أهدافك في الحياة وهي التي تشعرك بالنجاح والإنجاز والتقدم، وتبعث في نفسك السعادة الحقيقية الكامنة وتبعد عنك التعاسة والفشل وهي التي تعزز ثقتك بنفسك وتقديرك واحترامك لها.

2– أهمية القيم للمجتمع

تتضح أهمية القيم للمجتمع في النقاط الرئيسية الآتية: [31]

1-القيم تحفظ للمجتمع بقاؤه واستمراريته :تشهد الحقيقة التاريخية أن قوة المجتمعات وضعفها لا تتحدد بالمعايير المادية وحدها، بل بقاءها ووجودها واستمراريتها مرهون بما تمثله من معايير قيمية وخلقية، فهي الأسس والموجهات السلوكية التي يبنى عليها تقدم المجتمعات ورقيها والتي في إطارها يتم تحديد المسارات الحضارية والإنسانية، ورسم معالم التطور والتمدن البشري وفي حالة اختلال الموازين وفقدان البناء القيمي السليم فإن عواقب ذلك لا محالة وخيمة تؤول بالمجتمع إلى الضعف والتفكك والانهيار..قال تعالى:﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [32]وقال تعالى:﴿**وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَت آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [33]

2-القيم تحفظ للمجتمع هويته وتميزه:لأن القيم تشكل محورا رئيسيا من ثقافة المجتمع وهي الشكل الظاهر البين من هذه الثقافة التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه ونظرا لتغلغل القيم في جوانب الحياة كافة فإن هوية المجتمع تشكل وفقا للمنظومة القيمية السائدة في تفاعلات أفراده الاجتماعية، فالمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها لما تتبناه من أصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل نواحي الحياة المختلفة، وتظهر القيم كعلامات فارقة، وشواهد واضحة لتمييز المجتمعات عن بعضها.

3-القيم تحفظ المجتمع من السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية الفاسدة :تؤمن القيم للمجتمع حصنا راسخا من السلوكيات والقيم والأخلاق التي تحفظ له سلامته من المظاهر السلوكية الفاسدة، مما يجعله مجتمعا قويا بقيمه ومثله، تسوده قيم الحق والفضيلة والإحسان وتحارب فيه قيم الشر والفساد.

رابعا- دور القيم الإسلامية في تماسك الأسرة:

1- مكانة الرابطة الأسرية في الإسلام :

تعد الأسرة المؤسسة التربوية الأولى في المجتمع التي ترعى أبنائها وتعمل على تنشئتهم وتطبيعهم اجتماعيا وإكسابهم القيم والمعايير الاجتماعية.

والأسرة في اللسان العربي هي عشيرة المرء ورهطه الأقربون ، وسميت بهذا الاسم لما فيها من معنى القوة، حيث يتقوى بها الرجل ، والأسرة في اللغة العربية هي الدرع الحصينة، وفيها معنى القوة أيضا ،ذلك أن لفظ "أسر" يعطي معنى القوة والشدة، فأسر الجندي عدوه يعني شده بالإسار والإسار هو كل ما يشد به، يقول تعالى: ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا**﴾ الإنسان 28. [34]

ويطلق لفظ الأسرة في العلوم الاجتماعية على كل رابطة اجتماعية بين زوجين وأطفالهما وقد تكون أكبر من ذلك فتشمل أفراد آخرين يشتركون في معيشة واحدة مع الزوجين والأطفال[35].

ويعتبر التماسك الأسري أساس التماسك الاجتماعي ،إذ أن العلاقات الأسرية السليمة ينتج عنها اكتساب الأبناء الخصائص السلوكية المناسبة للتعامل في المجتمع بفاعلية ودون تطرف، لذلك كان من الأهمية بمكان تحديد الأدوار الفعالة للأسرة في المجتمع المعاصر وأثرها في بناء شخصيات الأبناء السوية، ومدى تمسكهم بالقيم الأسرية.

ونظرا لخطورة وخصوصية الأدوار التي تؤديها الأسرة ، فقد أحاطها الدين الإسلامي باهتمام بالغ ، فالأسرة هي المصدر الأول للقيم ، وعلى يدها يتخرج رجال الغد وقادة المستقبل.

وقد استأثر نظام الأسرة بقسط كبير من العناية ، وحظي باهتمام بالغ في تفريغ مسائله وتفصيل ما جاء مجملا في النصوص الشرعية، ومن أبرز نظم الأسرة التي أفاض الإسلام في تنظيمها أحكام الزواج، وتقرير الدعائم الأساسية لصيانة الأسرة وحمايتها من الاعتداء عليها[36].

وقد حرصت الشريعة الإسلامية على حماية الرابطة الأسرية من حيث وجودها واستمرارها، ونالت حظا وافرا من النصوص الشرعية واجتهادات الفقهاء ، مما يساهم في الحفاظ على الرابطة الزوجية وكذا رابطتي الأبوة والبنوة ، وقد كانت التوجيهات الربانية والتوصيات النبوية والآداب الإسلامية تركز على مكانة الروابط الأسرية التالية :

1- الرابطة الزوجية:

يعتبر الإسلام الأسرة كيانا مقدسا، لذا يحث على الزواج ، وعلى تكوين الأسرة المسلمة التي يتقوى بها صرح الأمة، لذا يعتبر الزواج ميثاقا غليظا ترتبط به القلوب ويندمج به كل من الطرفين مع صاحبه اتحادا في الشعور والتقاء في الرغبات والآمال ،قال تعالى :﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ الروم 21 ، فسعادة الحياة الزوجية تبنى على السكن والمودة والرحمة [37].

كما ورد الترغيب في الزواج في السنة النبوية لقوله صلى الله عليه وسلم:"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج" رواه البخاري.

وقد وعد الله تعالى الراغب في الزواج بالعون لقوله تعالى : ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ النور 32.

كما حث الإسلام على حسن اختيار شريك الحياة لقوله (ص) "تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها ، فالظفر بذات الدين تربت يداك " رواه الترميذي .

وقد شرع الإسلام حقوقا للزوجين فيها أمان للأسرة، واستقرار للحياة الزوجية، وترسيخ لأسس المودة والرحمة، وإبقاء الحياة الزوجية في صورتها المتكاملة، وفي أحاسيسها السعيدة الهنيئة التي يشعر كل واحد منها في ظل هذه الحقوق بالاستقرار والأمان والسعادة والخير.

وقد جعل الإسلام القوامة بيد الرجل، يقول تعالى:﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ النساء 34.

وقد وضع التشريع الإسلامي هذه السلطة بيد الرجل لينهض برسالته كعائل يقوم بواجبات الرعاية والإنفاق وإدارة الحياة الزوجية والإشراف عليها لأنه أكثر تحملا لأعبائها وتبعاتها.

وحتى تمضي سفينة الحياة الزوجية في أمان وهدوء ودون تعب أو عناء ،أو تخبط أو خلاف كان لابد لأحد الزوجين أن تكون له القوامة لتنظيم الحياة الزوجية وضبطها وقيادتها ،دون الاستئثار بالرأي ،بل عليه أن يأخذ برأي زوجته، وأن يستشرها ويؤدي لها حقوقها ،وأن تقوم بواجباتها نحوه، لأن الحياة الزوجية حقوق وواجبات لدى كل من الطرفين ، يقول تعالى:﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ البقرة 288. [38]

والأصل في الأسرة هو اشتراك الزوجين في تدبير شؤون الحياة الزوجية ،فيتبادلان الرأي في اتخاذ القرارات دون طغيان لشخصية أحدهما على الآخر ، ضمن حدود التشاور والتناصح ، ونظرا لطول الحياة الزوجية ، فمن

المحتمل أن يحصل خلاف في أمر معين ، لذا لابد من وجود شخص يعتبر مسؤولا وقائدا وإلا سادت الفوضى وفسدت شؤون الأسرة ، فكان الزوج هو الأنسب لهذه المهمة لما فطر الله فيه من صفات خلقية ونفسية تمنعه من الانجراف وراء عاطفته في تنشئة ولده والقيام بشؤون أسرته ، وهذا يضمن للرابطة الأسرية مقومات السلامة والبقاء .[39]

وقد حرص الإسلام على توثيق الروابط بين الزوجين ، فحث الزوج على حسن معاشرة زوجته والإحسان إليها ،بل واحتمال الأذى لما هو معروف من أن المرأة تغلب فيها العاطفة، يقول تعالى:﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[40] .

ويقول (ص) "خير خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي "رواه ابن ماجة ،كما حث النساء على حسن التبعل والسعي الإرضاء الزوج وإسعاده ،فيقول (ص) "أيما امرأة ماتت و زوجها عنها راض دخلت الجنة " رواه الترميذي .

وإذا كانت العلاقة الزوجية متينة موثقة على هذا النحو ،فإنه يجب الحفاظ عليها ، والبعد عن الأسباب التي تؤدي إلى تدهور هذه العلاقة أو قطعها ،لأن الله تعالى لم يشرع الزواج لفترة مؤقتة ،بل لحياة دائمة مستمرة يشع منها السكن والاستقرار والمودة والرحمة .

لذ حرصت الشريعة الإسلامية على درء كل المفاسد التي قد تعكر صفو العلاقة الزوجية أو تهدد استمرارها وقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تحرص على علاج المشكلات الأسرية كمشكلة نشوز الزوجة ، إذ أن هناك من الزوجات من تتمرد على نظام الحياة الزوجية وتخرج عن طاعة زوجها ،فكان من حق الزوج أن يتخذ إجراءات محددة تعيد الزوجة إلى صوابها ورشدها بما يحفظ كيان الأسرة واستقرارها ،وهذه الإجراءات وردت على الترتيب في قوله تعالى: ﴿**وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ النساء 34.

كما وضحت الشريعة الإسلامية الإجراءات التي تتبعها الزوجة إذا شعرت بكراهية الزوج لها أو أعراضه عنها، إذ عليها أن تحاول الإصلاح ما أمكن وبأي وسيلة شرعية كانت، لأن هذا خير من الفراق وانحلال الأسرة ،وقد قال تعالى : ﴿ **وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ** ﴾ النساء 128 [41]

أما إذا كان هناك نشوز أو خلاف بين الزوجين وتعذر معرفة السبب منهما ،وخيف على انفصام عرى الزوجية بينهما ، فقد دعت الشريعة إلى تحكيم أهليهما للإصلاح بينهما ،يقول عز وجل : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**﴾ النساء 34.

وقد شرع الله تعالى الطلاق كحل أخير لا مناص منه عند تنافر الطباع واستحالة تآلفها أو عند خطأ أحد الطرفين في الاختيار السليم لشريك الحياة كالارتباط بغير كفء ،وإذا كان الطلاق في هذه الحالات مشروع، فإن الإسلام يعبر عنه بأنه بغيض لقوله (ص) :"أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق " رواه أبو داود والحاكم ،ذلك لأن الطلاق في ذاته حلال ما دام وفي وضعه المشروع ، وإنما كان بغيضا لما يترتب عليه من آفات كالوقوع في المعصية وتصدع البيت ووقوع الأبناء ضحية هذه الفرقة دون رعاية الأبوين معا [42].

لذا يشدد الإسلام في وعيده على كل شخص يسعى لزرع الفرقة والخلاف بين الزوجين أو يسعى لإفساد المرأة على زوجها إذ يقول (ص) :"من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا " رواه أبو داود .

إذ أن الذي يحاول الوقيعة بين الزوجين ويفسد الرجل على امرأته أو المرأة على زوجها فإنه يعمل عمل الشيطان ،بل ويقرب جند إبليس منه لقوله (ص) :"إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا ،فيقول ما صنعت شيئا ، قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ،قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت " رواه مسلم

ولما كان أحب الأشياء عند الشيطان هو التفريق بين المرء وزوجه ،كان ابغض الحلال عند الله هو الطلاق .

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد أحاطت العلاقة بين الزوجين بالعناية والتعهد من حيث حفظ البقاء والوقاية من الفناء ،فقد أولت رابطتي الأبوة والبنوة اهتماما كبيرا أيضا بما يوثق الروابط الأسرية ويحفظ للأسرة وتماسكها واستقرارها .

2/ رابطة البنوة:

لقد أولى الإسلام الرعاية للأبناء حتى قبل وجودهم ،وذلك ببذل الجهد في حسن اختيار أمهاتهم انطلاقا من توجيه المصطفى (ص) "اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة " رواه الدارقطني .

وتمتد هذه الحقوق لتشمل حسن اختيار الاسم والقيام بالنفقة في حدود الطاقة والرحمة بهم لقوله (ص) " من حق الولد على والده أن يحسن اسمه ومرضعه ويحسن أدبه "رواه البيهقي .

إن صلة الآباء بالأبناء صلة فطرية مدفوعة بحب البقاء الذي يدفع الإنسان إلى إفراغ محبته في ذريته وولده ،إذ يرى في نسله امتداد لحياته ، وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال في غير تأفف ولا شكوى بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان ، بل وفي نشاط وفرح وسرور ، فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين لرعاية أبنائهما دون وصاية [43].

ومن صور الإحسان للأولاد المساواة بينهم ، فلا يفضل الولد على البنت ، ولا يفضل ولدا على آخر لقوله (ص) "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم "رواه البخاري[44].

تم هناك واجب التعليم والتأديب، حيث يوجه الإسلام عناية خاصة لتربية الروح إذ يعتبرها مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه والمهيمن الأكبر على حياة الإنسان، وأهم مراحل التأديب والتربية الروحية أن يكون الآباء أنفسهم مثلا صالحا لأبنائهم ،ذلك أن الأطفال يحاكون آبائهم في أقوالهم وأفعالهم ،والقدرة الصالحة ما هي إلا عرض مجسم للفضائل .

إن الطفل الذي يرى والده يهتمان بأداء الشعائر والبعد عما يخل بتعاليم الدين من كذب وغش وغدر ونميمة وغير ذلك من الصفات الذميمة ، لابد وأن يتأثر تأثرا بالغا بما يراه ويشاهده من تصرفات والديه [45].

كما يجب على الوالدين إبراز قيمة الفضائل وآثارها الفردية والاجتماعية، وإظهار مساوئ الرذائل أمام الطفل بقدر ما يتسع له فهمه ، وذلك بمراقبته وتعويده على الحياء والاحتشام وأن يحبب إليه الإيثار والعطاء والبذل ويبعده عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، ومنعه من لغو الكلام وفحشه ،و تجنيبه الاختلاط بالأبناء ذوي السلوك المنحرف أو العائدات السيئة ،لأن ذلك يؤثر سلوكهم وان ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء. [46].

ومن أهم ما ينبغي توفره في التربية الروحية للأبناء هو لزوم الآباء لأبنائهم ومراقبتهم لسلوكهم وتصرفاتهم ليوجهوهم أولا بأول ، وألا يترك الآباء أبناءهم تمتصهم تقاليد سيئة أو عادات قبيحة أو تيارات وافدة يكون مآلهم معها إلى الضياع ، وألا يعتمدوا على المدرسة وحدها في توجيههم، وألا يتركوهم إلى الخدم أو مؤسسات التنشئة الأخرى ويهملوا شؤونهم [47].

تلك هي مسؤولية الآباء وواجباتهم تجاه الأبناء ، فتربية الأبناء وتنشئتهم على الحق والهدى أثمن وأغلى ما يورثه لهم آباؤهم يقول الإمام علي :"ثلاث هي أفضل ما يورثه الآباء للأبناء: الثناء الحسن والأدب الصالح والإخوان الثقات ".

3/ رابطة الأبوة والأمومة :

حرص الإسلام على توقير رابطتي الأبوة والأمومة ، واعتبر الإحسان إليهما في صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد في المقام الثاني بعد تأكيد الأمر بعبادة الله عز وجل ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾ الإسراء 23 ، فالرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة هي رابطة الأسرة ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بعبادة الله إعلانا لقيمة هذا البر عند الله.

وإذ كان الوالدان يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأبناء والتضحية بكل شيء حتى بالذات فيمتص الأبناء كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين ،وهما مع ذلك سعيدان، أما الأولاد فيسرعان ما ينسون هذا كله ، ويندفعون بدورهم إلى الأمام ، إلى الزوجات والذرية وهكذا تندفع الحياة ، ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء ،وإنما يحتاج هؤلاء إلى استجاشة وجدانهما بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي انفق رحيقه حتى أدركه الجفاف [48].

وقد أوصى القرآن الأبناء بألا يتأففوا من شيء يبدو من أحدهما أو كلاهما ،وبألا يعاملوهما إلا بما ينعش النفس ويشعرهما بالدفء والحنان والعطف من كلام طيب ينم عن الاعتراف بجميلهم وعن التقدير لما كان قد صدر منهما من حسن الصنع [49].

ومن مظاهر البر بالوالدين أيضا الإنفاق عليهما وقت الحاجة ، وأن يكون بالقدر الذي يكفيهما ويناسب مستواهما من مطعم وملبس وخدمة وغير ذلك ، وقد ذكر ابن القيم الجوزية أنه يشترط في وجوب النفقة أن يكون الوالد محتاجا وعاجزا عن الكسب فيقول :"فليس من بر الوالدين أن يدع الرجل أباه يكنس الكنيف ويكارى على الحمير ويوقد أتون الحمام –(أي الأعمال التي تهين كرامته ،وفي وقتنا الحالي توجد أيضا بعض الأعمال التي لا تليق بمقام الآباء خاصة في حالة يسر أبنائهم)– وليس من بر أمه أن يدعها تخدم الناس وتغسل ثيابهم ولا يصونها بما ينفقه عليها " [50].

وحرص الأبناء على المال ومنعه على أقاربه وحتى والديه إنما يأتي بدافع الفردية أو بعبارة أوضح الأنانية ،وهي جزء من الكيان الفطري للإنسان ، فهو بما ركب فيه من دوافع نفسية أناني يحب الخير لنفسه والمنفعة لذاته قبل كل شيء ، وهذا أمر اقتضته الحكمة الإلهية لعمارة الأرض واستمرار الحياة وازدهارها ، يقول عز وجل:﴿**وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا**﴾ الإسراء 100﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ**﴾ النساء 127.

ويلعب الوازع الديني أو الضمير أثرا بالغا في تغلب الإنسان على هذه الأنانية والجشع وحب التملك فيضحي بمصلحته الخاصة من أجل المصلحة العامة، ويرضى بالتقشف والحرمان والكفاف من العيش.

وقد حذر الإسلام من عقوق الوالدين واعتبره من الكبائر، كما توعد المولى عز وجل العاق لوالديه بالخزي في الدنيا قبل الآخرة ، يقول صلى الله عليه مسلم :كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يجعله لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الممات "

وهكذا يتبن أن الرابطة الأسرية المتمثلة في مجموعة العلاقات المنبثقة عن الزواج وإنجاب الأبناء قد نالت اهتماما بالغا ، وشرفا ساميا في الإسلام ، مما يقوم أواصرها ويحفظ تماسكها فالدين الإسلامي بقيمه الوجدانية وبتأثيره على السلوك هو العامل الأكبر والأهم في تحقيق تماسك الأسرة واستقرارها ، وتعد هذه القيم بمثابة القيم الحافظة لكيان الأسرة وتماسكها .

2-بعض القيم الحافظة للتماسك الأسري :

لقد حرصت الشريعة الإسلامية على تطويق الأسرة بدرع من القيم الأخلاقية والمسؤولية الدينية التي تسهم في تنمية معاني التضحية والعطاء والبذل في العلاقات الأسرية، لكي تكون محصنة ضد الأخطار الناشئة عن روح الأنانية والنزعة المادية والإفراط في ممارسة الحرية الفردية، مما يهدد الأسرة بالتمزق والانهيار، ومن بين القيم الحافظة للكيان الأسري ما يلي :

1- قيمة المودة والرحمة: إن المحبة هي الأصل الذي تقوم عليه الأسرة و في حالة فتورها فلا بد من الأصل الثاني الذي تقوم عليه الأسرة وهو الرحمة التي تدفع كلا من الزوجين إلى الرفق بصاحبه، وإنه كثيرا ما تجتمع المودة مع الرحمة، فتدفع المودة إلى مزيد من الرحمة والعطف، حتى يبلغ التعاطف والبذل أقصى المدى"[51] ، فالعلاقات التي تُشتق من" المودة والرحمة"، تلعب دورا كبيرا في توثيق والتحام عناصر الأسرة الواحدة، وتعمل على تفعيل وتقوية التماسك بين أعضائها.

إن من مميزات قيمة المودة والرحمة أنها تمنح الزوجين التوازن النفسي وتمتعهما بالصحة النفسية فالحب المتبادل هو العامل الفعال الذي يدفع كل فرد من أفراد الأسرة إلى أن يتحمل مسؤولياته، إذ أن تبادل المحبة وتجديد العاطفة من خلال إذكاء مشاعر المحبة للآخر كلها عوامل أساسية لتفعيل تلك العاطفة الأسرية.

2- قيمة العطاء والبذل والإيثار:

لم ينظر الإسلام إلى الفرد بوصفه وحدة مستقلة عن المجتمع كما، لم ينظر إلى حقوقه على أنها غاية في ذاتها، بل اعتبر الفرد وحدة إنسانية تعيش في إطار اجتماعي وترتبط بغيرها ممن يشاركونها هذا العيش برباط المصالح المتبادلة والهدف المشترك باعتباره فردا اجتماعيا، وهذه الصفة المزدوجة بين الفردية والاجتماعية تنعكس بالضرورة على حقوق الفرد فتنفي عنها الصفة الجماعية المحضة [52].

ففي الإنسان نزعة اجتماعية غيرية فطرية ، ولكنها لا تقاوم نزعته الذاتية لو خليت وشأنها ومن هنا نرى الإنسان حريصا على أن يجمع لنفسه من أسباب النعمة ما استطاع ، حريصا على الاستئثار بها دون غيره ، حتى إنه ليشيب ويهرم ، ويشب معه الحرص والشح ، وإذا ترك الإنسان هذه الأنانية تسيطر على نفسه ، وتحكم سلوكه وتوجه علاقاته بالناس ، فلن نجد إلا إنسانا جشعا شحيحا ، كل همه أن ينتفع ولا ينفع ، وأن يأخذ ولا يعطي[53] .

وقيمة العطاء والبذل تحاصر الفردية المطلقة، وتحارب الأثرة والأنانية والشح، و تجعل العطاء مقدما على الأخذ، وتذكر أفراد الأسرة والجماعة بأهمية تبادل العطاء .

فالفرد المؤمن يدرك تمام الإدراك أن العطاء والبذل الذي يقدمه لغيره سواء في الجانب المعنوي أو المادي فإنه سيعود عليه أضعافا مضاعفة، وأن ما أنفقه من مال فالله يخلفه، وما أصابه من أذى في نفسه أو بدنه أو صحته فالله معوض عنه، ويزداد بقينه من هذا كلما تدبر قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ سبأ 39

وشيوع قيمة البذل والعطاء الإيثار لا يمكن تحقيقها إلا في الأوساط الأسرة التي تدين بالإسلام وتعمل بأخلاقه وقيمه، ويعتبر الوازع الديني أكبر ضمان لتمسك أفراد بهذه القيم في تصرفاتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية وعلاقاتهم الأسرية، وهو ما لاحظه ميخائيل أسعد في الأجيال الماضية حيث يقول:" لقد كان تغلغل الشعور الديني في نفوس الأجيال القديمة حافزا لهم على التضحية و العطاء ، وكانت قيمة البذل و التضحية من القيم التي يتسابق أبناء الأجيال الماضية على الأخذ بها و تطبيقها في الحياة العلمية وفي العلاقات الاجتماعية، فكان الكبير يحنو على الصغير كما كان الصغير يحترم و يساعد الكبير، بغير انتظار لفائدة تتأتى أو ضرر يدرأ ، بل كنتيجة لإحساس متغلغل في النفوس بأن التضحية التي يقدمها الإنسان سوف يلقى عنها جزاء مضاعفا في الدنيا و الآخرة " (54)

2- قيمة الصبر :

الصبر فضيلة يحتاج إليها الفرد المسلم في دينه ودنياه ، ولا بد أن يبني عليها أعماله وآماله ، وأن يوطن نفسه على احتمال المكارة دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، وأن يبقى موقنا بأن بوادر الصفو لابد آتية، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين (55).

وقد دعا الإسلام للتحلي بقيمة الصبر وقوة الاحتمال والجلد، وهذه القيمة لها تجلياتها على الأسرة ودورا في تماسكها واستقرارها، ومن أهم الأمور التي تدعم بها قيمة الصبر الأسرة وتحفظ استقرارها ما يلي: (56)

1-الصبر يجعل الفرد قادرا على إرجاء الحاجات المباشرة في سبيل تحقيق إشباع أكثر رفعة وسموا ذلك الإشباع الذي يتحقق بالصورة التي يقبلها المجتمع وتتمشى مع القيم الدينية و الأخلاقية ومن ذلك إرجاء إشباع الدوافع الجنسية حتى يتم إشباعها بالطرق التي حللها الشرع، أي عن طريق الزواج وتكوين الأسرة .

2-قدرة أفراد الأسرة على ضبط الشهوات و الملذات وعلى تحقيق الاتزان الانفعالي وعدم الجزع أو الثورة والتهيج و شدة الغضب والتهور الذي قد يؤدي إلى تفكك الروابط الأسرية .

3-يساعد الصبر أفراد الأسرة و بخاصة الأبناء الشباب على مقاومة إغراء الحياة المادية ومباهج الحضارة و ترفها، فيبقى الشاب صابرا قوي العزيمة رغم الفقر و العوز و الحرمان، ويظل طاهرا عفيفا مترفعا عن الرذائل فلا تمتد يده إلى سرقة أو رشوة.

فالصبر مدعاة إلى العفة و الشجاعة و احترام الناس و تحمل أذاهم و العفو عند المقدرة.

3/ قيمة التعاون والتضامن (التكافل الاجتماعي):

التكافل الاجتماعي كما يطرحه الإسلام وتدل عليه نصوص الكتاب والسنة يشمل تربية عقيدة الفرد وضميره وتكوين شخصيته، وسلوكه الاجتماعي، ويشمل تماسك الأسرة وترابطها وتكافلها، أي أن نظام التكافل في الإسلام يحتوي التشريع الإسلامي كله، لأن غاية التكافل هو إصلاح أحوال الناس(57).

ويتضمن التكافل في الأسرة تعاون الأفراد على أداء الواجبات والحقوق في السراء والضراء وفي الشدة والرخاء، وأن يتضامن أفراد الأسرة الواحدة من أجل ضمان استقرار الكيان الأسري واستمراره.

فالتعاون والتضامن ضرورة من ضرورات الحياة، إذ أن الإنسان بمفرده عاجز عن تحقيق مصالحه ورغباته، ولا يتم له ذلك إلا بالتعاون مع غيره من أفراد أسرته أو مجتمعه، ولهذا يؤكد علماء الاجتماع على ضرورة التعاون، واعتباره ضربا من التفاعل الوجه نحو تحقيق أهداف عامة وأن التعاون ينبع من طبيعة الروابط التي تربط أعضاء الجماعات الاجتماعية، بحيث يتجلى في التضامن الداخلي للجماعة التي ينتمي إليها (58).

ويعد الشعور بالولاء والانتماء من أقوى العوامل في تحقيق الانسجام ،التماسك ،الترابط ،التضامن التعاون والتكافل بين أفراد الأسرة الواحدة ، ولهذا الشعور أهمية بالغة في الأسرة حيث يسهم في ترابطها وتماسكها وإحساسها المشترك بأنها كالجسد الواحد مصداقا لقوله (ص) :" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضها بعضا " و"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "(59)

ذلك أن التعاون بين أفراد الأسرة ينأى بالفرد عن الانعزالية والانسحاب من التفاعل الاجتماعي والأسري ، كما يقيه مساوئ الفردانية والأنانية البغيضة، ويحقق له معنى الجسدية الواحدة والولاء والانتماء الأسري .

الخاتمة

كانت هذه بعض القيم التي نعتقد بدورها الفعال والمباشر في تحقيق التماسك الأسري وتدعيم الترابط والانسجام بين أفراد الأسرة، خاصة في عصر العولمة والانفتاح على الحضارات الأخرى عبر الفضائيات والانترنت، وعموما فإن كل القيم والمثل العليا والتي هي روح الشريعة الإسلامية تعمل على حفظ الكيان الأسري، بل إن الأسرة تعد قيمة في حد ذاتها لمكانتها وقداستها في الإسلام.

ونظرا لأهمية القيم في دعم التماسك الأسري وتقوية الروابط بين أفرادها، فمن واجب الأسرة غرس هذه القيم في نفوس الناشئة منذ نعومة أظفارهم ، ولابد لها أن توفر القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به ، وخاصة الأبوين والمعلمين وعلى رجال الإعلام أن يعملوا من خلال وسائلهم وخاصة القنوات الفضائية و برامجها ومضامينها على تنمية هذه القيم وتثبيتها في نفوس الجماهير المسلمة سيما الشباب منهم .

-الهوامش:

([1])- ناصر الدين الأسد، **دوريه أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر**، مطبعة المعارف الجديدة، الربا ط2000 ، ص 51.

([2])- محمد إبراهيم عيد ، **مدخل إلى علم النفس الاجتماعي** ، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،2005، ص 215.

([3])- مساعد بن عبد الله المحيا، **القيم في المسلسلات التلفازية** ، دار العاصمة للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية 1414 هـ ، ص 26.

([4])- صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، **موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم**، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط1،1998 ، ص78

([5])- ماجد الزيود ،**الشباب والقيم في عالم متغير** ،دار الشروق ،الأردن ،ط1، 2006 ،ص30.

([6])- سورة التوبة الآية 36.

([7])- سورة يوسف الآية 40.

([8])- سورة الروم الآية 30.

([9])- سورة الروم الآية 43.

([10])- سورة الأنعام الآية 161.

([11])- سورة الكهف الآية 02.

([12])- قرص مضغوط CD **مكتبة التفسير وعلوم القرآن** .

([13])- مراد زعيمي ، **النظرية العلم اجتماعية، رؤية إسلامية**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتورة ، رسالة غير منشورة جامعة قسنطينة ، 1997 ، ص 226 .

([14])- مراد زعيمي ، المرجع نفسه ، ص226 .

([15])- أحمد كمال أبو المجد، **أزمة القيم ودور الأسرة في المجتمع المعاصر**، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2002 ص 109.

(16)- رضوان زيادة وكيفن جيه أوتول، **صراع القيم بين الاسلام والغرب**، دار الفكر، دمشق، 2010، ص 14.

([17])- محمد أحمد بيومي ،**علم اجتماع القيم** ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1990 ،ص 191.

([18])- السيد الشحات أحمد حسن ،**الصراع القيمي لدى الشباب** ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1988 ،ص 68.

([19])- سورة الكهف الآية 109.

([20])- محمد جواد مغنية، **فلسفة الأخلاق في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1،1977 ، ص13 .

([21])- سيد سابق، **عناصر القوة في الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2،1978 ، ص ص 45-46.

([22])-صلاح الدين بسيومي رسلان، **القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1990، ص130 .

([23])- سورة غافر الآية 29.

([24])- سورة القصص الآية 38.

([25])- سورة النازعات الآية 24.

([26])- مساعد بن عبد الله المحيا، المرجع السابق ، ص34 .

([27])- نورهان منير حسن فهمي، **القيم الدينية للشباب**، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ،1999 ،ص93 .

([28])- سورة الصف الآية 2-3.

(29)- فتحي يوسف مبارك،" القيم الاجتماعية اللازمة لتلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي، ودور مناهج المواد الاجتماعية في تنميتها للطالب"، المجلة العربية للتربية ، المجلد 12 ، العدد 01 ، يونيو 1992 ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إدارة التربية – القباضة الأصلية ، تونس ، ص134.

(30)- ماجد زكي الجلاد، **تعلم القيم وتعليمها، تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم**، دار المسيرة، الأردن، ط2، 2007 ، ص ص 39-43.

(31)- ماجد زكي الجلاد، المرجع نفسه، ص ص 43-46.

(32)- سورة الأعراف، الآية 96.

(33)- سورة النحل، الآية 112.

([34])- عطية صقر ، **موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام** ، مراحل تكوين الأسرة ،ج1 ،مكتبة وهبة ،القاهرة ، ط1 ، 2003 ، ص 38.

([35])- حسن عبد الباسط ، **علم الاجتماع** ، مكتبة غريب ، القاهرة ، 1982 ، ص 399.

([36])- مصطفى الخشاب ، **دراسات في علم الاجتماع العائلي** ،دار النهضة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1985 ، ص29.

([37])- محمد بن أحمد الصالح ، **التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية** ،الرياض ، ط2 ، 1993 ، ص 27.

([38])- أحمد عمر هاشم ، **الأسرة في الإسلام** ،دار قباء ،القاهرة ،1998 ، ص 75.

([39])- عبد الرحمن الصابوني، **نظام الأسرة و حل مشكلاتها في ضوء الإسلام**، دار الفكر، دمشق ، ط1، 2001، ص 46.

([40])- سورة النساء الآية 19.

([41])-عبد الرحمن الصابوني ، مرجع سابق ، ص 60.

([42])- أحمد عمر هاشم ، مرجع سبق ، ص 72.

([43])- سعاد إبراهيم صالح ،**علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية** ،مؤسسة دار التعاون ،القاهرة ،ط3 ، دت ، ص 25.

([44])- محمد بن أحمد الصالح ، مرجع سابق، ص 35.

([45])- سعاد إبراهيم صالح ، مرجع سابق ، ص 59.

([46])-سعاد إبراهيم صالح ، مرجع سابق ، ص 59.

([47])-أحمد عمر هاشم ، مرجع سابق ،ص 99.

([48])- سيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، دار الشروق ، مجلد 4 ، ط 10، 1982 ، ص 2221.

([49])- محمد التومي ،**المجتمع الإنساني في القرآن الكريم** ، الدار التونسية ، تونس ، ط 2 ، 1990 ، ص 122.

([50])- ابن قيم الجوزية ،**زاد المعاد في هدي خير العباد** ، ج 3، دار الفكر ،بيروت ، 1995 ، ص 169.

([51])- توفيق الواعي، **استراتيجيات في تربية الأسرة المسلمة**، دار الخلدونية، الجزائر، 2006 ، ص202 .

([52])- محمد بن أحمد الصالح ،مرجع سابق ، ص 21.

([53])- يوسف القرضاوي ، **الإيمان والحياة** ، دار الشهاب ، الجزائر ، 1987، ص 259.

([54])- يوسف أسعد ،**رعاية الشيخوخة** ، مكتبة غريب ، القاهرة ،دت ، ص23

([55])- محمد الغزالي، **خلق المسلم**، مكتبة رحاب، الجزائر ط15 ،1987 ص128

([56])- عبد الرحمن العيسوي، **علم النفس الأسري وفقا للتصور الإسلامي والعلمي**، دار النهضة العربية ،بيروت،1993،ص ص 295-298 بتصرف

([57])- عبد الله علوان ،**التكافل الاجتماعي في الإسلام** ،دار السلام ،القاهرة،ط5، 1989، ص 20

([58])- نيكولا تيماشيف ،**نظرية علم الاجتماع** ،ترجمة الجوهري ورفاقه ،مطبعة الإسكندرية ،مصر ، 1980 ، ص 461.

([59])- عبد الرحمن العيسوي ، **جنوح الشباب المعاصر ومشكلاته** ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت ،لبنان ، ط1، 2004، ص 203